الإسراء والمعراج
دراسة دينية تاريخية فلسفية نفسية
في ضوء النص القرآني والسيرة النبوية

رمضان مصطفى سليمان

المقدمة

تُعَدّ حادثة الإسراء والمعراج من أعظم الوقائع الغيبية التي شكّلت منعطفًا روحيًا وفكريًا في مسيرة الدعوة الإسلامية ، ومن أبرز المعجزات التي خصّ الله بها نبيَّه محمدًا ﷺ ، لما تنطوي عليه من أبعاد عقدية عميقة ، ودلالات تربوية سامية ، ورموز فلسفية ونفسية بالغة الثراء. فهي ليست مجرد انتقال مكاني خارق لقوانين الطبيعة ومألوف البشر ، بل هي ـ في جوهرها ـ رحلة وعي كوني ، وارتقاء بالإنسان من ضيق الأرض إلى سعة السماء ، ومن جراح الواقع الإنساني إلى أفق الرسالة الإلهية الخالدة.

لقد وقعت هذه الحادثة في مرحلة حرجة من تاريخ الدعوة ، عقب عام الحزن، حيث توالت على النبي ﷺ المصائب ؛ بوفاة عمّه أبي طالب، الذي كان سندًا اجتماعيًا وسياسيًا، وزوجته خديجة رضي الله عنها ، التي مثّلت له الحضن العاطفي والدعم النفسي والروحي . فجاءت حادثة الإسراء والمعراج بوصفها رسالة تعزية إلهية ، وتكريمًا نبويًا ، وتثبيتًا للمؤمنين ، وامتحانًا صافيًا للإيمان ، يُفْرَز فيه الصادق من المتردد ، والمؤمن بالغيب من أسير الحسّ والظاهر.

أولًا: البعد الديني والعقائدي للحادثة

من المنظور العقائدي ، تُمثّل حادثة الإسراء والمعراج تجلّيًا لقدرة الله المطلقة التي لا تحدّها نواميس الكون ، ولا تقف أمامها قوانين المادة. فالإسراء بالنبي ﷺ ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم معراجه إلى السماوات العُلا ، يؤكّد مركزية الإيمان بالغيب في العقيدة الإسلامية ، ويؤسس لمنهج معرفي لا يحصر الحقيقة فيما تدركه الحواس وحدها ، بل يفتح الأفق أمام الوحي بوصفه مصدرًا للمعرفة اليقينية.

كما تكشف الحادثة عن المنزلة الرفيعة للنبي ﷺ ، إذ لم يكن المعراج تكريمًا شخصيًا فحسب ، بل تكليفًا رساليًا ؛ ففيه فُرضت الصلاة ، بوصفها عماد الدين ، والرابط اليومي بين الأرض والسماء ، والوسيلة الدائمة لترقية الروح وتزكية النفس . وهنا تتجلى الحكمة الإلهية في أن تكون الصلاة ثمرة تلك الرحلة السماوية ، وكأن المعراج تجربة استثنائية ، بينما الصلاة معراجٌ يوميٌّ متاح لكل مؤمن.

ثانيًا: الدلالة الاجتماعية والرسالية

اجتماعيًا ، جاءت حادثة الإسراء والمعراج في سياق اضطهاد قريش ، وانسداد الأفق الدعوي ، لتبعث رسالة مفادها أن الرسالة لا تُقاس بموازين القوة

المادية ، ولا تُختزل في معايير القبول الاجتماعي. فحين تُغلَق أبواب الأرض ، تُفتَح أبواب السماء ، وحين يُقصى الدعاة ، يُكرَّمون في العوالم العليا.

كما تحمل الحادثة بُعدًا وحدويًا ، يتجلّى في انتقال النبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ، وإمامته للأنبياء ، في مشهد رمزي بالغ الدلالة ، يؤكد وحدة الرسالات السماوية ، واستمرارية المشروع الإلهي ، وخَتْمَه برسالة الإسلام. وهذا البعد يمنح الحادثة طابعًا حضاريًا ، يُعيد الاعتبار لمكانة القدس في الوعي الإسلامي ، بوصفها مركزًا روحيًا جامعًا ، لا مجرد رقعة جغرافية.

ثالثًا: القراءة الفلسفية لحادثة الإسراء والمعراج

فلسفيًا ، تفتح حادثة الإسراء والمعراج أفقًا تأمليًا عميقًا حول العلاقة بين الزمان والمكان ، والمطلق والنسبي ، والمادي والروحي . فهي تُقوّض التصورات الحتمية الصارمة التي تحصر الوجود في قوانين فيزيائية مغلقة ، وتُعيد الاعتبار لفكرة التداخل بين العوالم ، وإمكان تجاوز الإنسان لحدوده المادية حين يتصل بالمطلق.

كما يمكن قراءة المعراج بوصفه رمزًا للارتقاء الوجودي ، حيث لا يكون العلوّ علوًّا مكانيًا فحسب ، بل علوًّا في الوعي والمعرفة . فالسماوات في هذا السياق ليست مجرد طبقات كونية ، بل مراتب وجودية ، ينتقل فيها الإنسان من الإدراك الحسي إلى الإدراك القلبي ، ومن المعرفة الجزئية إلى المشاهدة الكلية.

رابعًا: التحليل النفسي والبعد الوجداني

من الزاوية النفسية ، تمثّل حادثة الإسراء والمعراج تجربة شفاء روحي عميقة للنبي ﷺ بعد ما تعرض له من صدمات نفسية متتالية. فهي تأتي كاستجابة إلهية لحالة الحزن والإنهاك العاطفي ، وتعيد للنفس توازنها ، وتمنحها طاقة جديدة لمواصلة الطريق.

كما تكشف الحادثة عن أهمية البعد الروحي في علاج الأزمات النفسية ؛ فحين يثقل الواقع ، لا يكون الهروب حلًّا ، بل الارتقاء بالمعنى. والمعراج ، في هذا الإطار ، يُجسّد أعلى درجات السموّ النفسي ، حيث يتحوّل الألم إلى وعي ، والمعاناة إلى رسالة ، والانكسار إلى قوة داخلية.

ومن جهة أخرى ، شكّلت الحادثة اختبارًا نفسيًا جماعيًا للمجتمع المسلم ؛ إذ تمايزت المواقف بين مُصدِّق ومكذِّب ، وتجلّى النموذج الإيماني في موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي لم يحتج إلى دليل مادي ، لأن يقينه كان مؤسسًا على الثقة المطلقة بالرسول ﷺ ، وهو ما يكشف عن عمق الاستقرار النفسي الناتج عن الإيمان.

خامسًا: التحليل الأدبي والرمزي

أدبيًا، تنطوي حادثة الإسراء والمعراج على بنية سردية رمزية ثرية ، تتجاوز حدود الحدث التاريخي إلى أفق الأسطورة المقدسة ، دون أن تفقد صدقها الواقعي. فالليل ، في رمزيته ، يُحيل إلى السكون ، والاحتضان الإلهي، وبداية التحول، بينما تمثل الرحلة اختراقًا للظلمة نحو النور.

كما أن استخدام المكانين المقدسين (المسجد الحرام والمسجد الأقصى) يمنح النص بعدًا جماليًا وروحيًا ، حيث يتداخل المقدس بالجغرافي، ويتحوّل المكان إلى حامل للمعنى ، لا مجرد إطار للأحداث. ويأتي المعراج تتويجًا لهذا السرد ، بوصفه ذروة رمزية ، يلتقي فيها الإنسان بالمطلق ، في مشهد تتعانق فيه اللغة بالعقيدة ، والخيال بالإيمان.

χ

إن حادثة الإسراء والمعراج ليست واقعة تاريخية معزولة ، ولا معجزة تُروى لغايات الوعظ فحسب ، بل هي نصٌّ مفتوح على التأويل ، غني بالدلالات الدينية والاجتماعية والفلسفية والنفسية ، يُخاطب العقل والروح معًا. وهي تؤكد أن الرسالة الإسلامية مشروع ارتقاء إنساني شامل ، لا يكتفي بإصلاح السلوك ، بل يسعى إلى تحرير الوعي ، وبناء الإنسان من الداخل.

ومن ثمّ ، تبقى هذه الحادثة مصدر إلهام دائم ، تُذكّر الإنسان بأن طريق السماء يمرّ عبر تزكية النفس ، وأن أشد لحظات الانكسار قد تكون مقدمة لأسمى لحظات القرب ، وأن الإيمان ـ في جوهره ـ معراج لا ينتهي.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والتعريفي للإسراء والمعراج

تمهيد الفصل

تُعدّ حادثة الإسراء والمعراج من أعظم الوقائع المفصلية في السيرة النبوية ، ليس فقط لما تحمله من أبعاد غيبية إعجازية ، بل لما تنطوي عليه من دلالات عقائدية ، وتربوية ، ونفسية ، واجتماعية ، وفلسفية عميقة. فهي ليست حدثًا تاريخيًا عابرًا ، بل تجربة وجودية كاملة أعادت صياغة العلاقة بين الإنسان والسماء ، وبين الألم الأرضي والأمل الإلهي ، وبين المحدود البشري والمطلق الرباني . ومن هنا تأتي أهمية هذا الفصل الذي يهدف إلى ضبط المفاهيم ، وتحديد الأطر التعريفية للإسراء والمعراج من منظور شرعي ولغوي وتحليلي ، تمهيدًا لفهم أبعادهما المعرفية والإنسانية.

χ

المبحث الأول: تعريف الإسراء والمعراج شرعًا ولغةً

أولًا: الإسراء لغةً واصطلاحًا

الإسراء في اللغة مأخوذ من الجذر الثلاثي (س ر ي)، ويعني السير ليلًا، سواء أكان ذلك السير بطيئًا أم سريعًا، وهو يدل في أصله على الانتقال الخفي الهادئ الذي يتم في سكون الليل[1] وقد استُخدم هذا اللفظ في السياق القرآني بدقة بلاغية متناهية ، لما يحمله الليل من دلالات السكون ، والاصطفاء ، والانكشاف الروحي ، حيث تكون النفس أكثر استعدادًا للتلقي والانفعال.

أما الإسراء في الاصطلاح الشرعي ، فهو :**انتقال النبي محمد ﷺ ليلًا ، بجسده وروحه ، من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس ، بقدرة الله تعالى ، وفي زمن وجيز خارج عن المألوف البشري** . وقد ورد هذا الحدث تصريحًا في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: 1)

وتُفتتح الآية بكلمة "سبحان" التي تفيد التنزيه المطلق ، وكأن النص القرآني يهيئ المتلقي نفسيًا وعقليًا لتلقي حدث يتجاوز حدود العقل التجريبي ، ويكسر نمطية التفكير المادي . كما أن التعبير بـ"عبده" يحمل دلالة تكريمية عميقة ، تؤكد أن العبودية الخالصة هي أعلى مراتب القرب والاصطفاء.

ومن الناحية الاجتماعية ، فإن الإسراء مثّل إعادة ربط رمزي بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، مؤكدًا وحدة الرسالة ، وتكامل الامتداد الحضاري والروحي للأمة الإسلامية.

أما نفسيًا ، فقد جاء هذا الحدث بعد مرحلة شديدة القسوة في حياة النبي ﷺ ، عُرفت بعام الحزن ، ليكون الإسراء بمثابة علاج رباني للانكسار النفسي ، وجبرًا للخاطر الإنساني المتألم.

χ

ثانيًا: المعراج لغةً واصطلاحًا

المعراج لغةً مأخوذ من الفعل "عرج"، أي صعد وارتقى ، ومنه السُّلّم ، ويُطلق على الوسيلة التي يُرتقى بها من الأسفل إلى الأعلى . وهذا المعنى اللغوي يحمل دلالة رمزية تتجاوز مجرد الحركة المكانية ، لتشير إلى الارتقاء المعنوي والوجودي.

أما المعراج في الاصطلاح الشرعي ، فهو :**صعود النبي ﷺ من بيت المقدس إلى السماوات العُلى ، طبقة بعد طبقة ، حتى بلغ سدرة المنتهى ، ورأى من آيات ربه الكبرى ، وكُلِّف بالصلوات الخمس** .وقد ورد ذكر هذه الرحلة السماوية في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: 18)

ويمثل المعراج انتقالًا من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن المحدود الزمني والمكاني إلى الأفق الكوني المفتوح. وهو في بعده الفلسفي تعبير عن توق الإنسان الأزلي لتجاوز ثقله الأرضي ، والسعي نحو المطلق ، وعن قدرة الوحي على تحقيق هذا التوازن بين العقل والإيمان.

ومن المنظور النفسي التحليلي ، يمكن فهم المعراج بوصفه ذروة تجربة روحية عميقة ، تُعيد بناء الذات النبوية بعد صدمات الرفض الاجتماعي والنبذ الإنساني. فالصعود إلى السماء هنا ليس هروبًا من الواقع ، بل عودة إليه محمّلة بالمعنى ، ومشبعة باليقين ، ومؤهلة لحمل الرسالة بثبات أعظم.

χ

ثالثًا: العلاقة التكاملية بين الإسراء والمعراج

لا يمكن الفصل بين الإسراء والمعراج بوصفهما حدثين مستقلين ، بل هما مرحلتان متكاملتان في تجربة واحدة . فالإسراء يمثل الانتقال الأفقي في الجغرافيا المقدسة ، بينما يمثل المعراج الانتقال العمودي في المقامات الروحية . الأول يؤكد البعد التاريخي والاجتماعي للرسالة ، والثاني يرسّخ بعدها الغيبي والميتافيزيقي.

وفي هذا التكامل تتجلى فلسفة الإسلام في الجمع بين الأرض والسماء ، بين العمل والعبادة ، بين الواقع والمثال. فالمسجد الأقصى لم يكن مجرد محطة جغرافية ، بل رمزًا للالتقاء بين الرسالات ، وشاهدًا على عالمية الدعوة. أما سدرة المنتهى ، فهي الحد الذي تقف عنده المعارف البشرية ، ويبدأ فيه السر الإلهي.

χ

رابعًا: دلالات عقدية وتربوية

تحمل حادثة الإسراء والمعراج دلالات عقدية عميقة ، أبرزها ترسيخ مبدأ القدرة الإلهية المطلقة ، وإثبات أن قوانين الكون خاضعة لإرادة الله ، لا العكس. كما تُبرز مكانة النبي ﷺ عند ربه ، وتؤكد صدق نبوته.

أما تربويًا ، فقد جاءت فريضة الصلاة في سياق المعراج ، وكأنها معراج يومي للمؤمن ، يترقى فيه روحيًا ، ويستعيد توازنه النفسي ، ويجدد صلته بالمطلق. وفي هذا المعنى يقول بعض العلماء " :الصلاة معراج المؤمن "، لأنها تربط الأرض بالسماء في حركة شعورية متكررة.

χ

يتضح من خلال هذا العرض أن الإسراء والمعراج ليسا مجرد معجزة خارقة ، بل نصًا مفتوحًا على التأويل ، غنيًا بالدلالات ، متعدد الأبعاد. فهو حدث تاريخي ، وتجربة روحية ، وبناء نفسي ، وخطاب فلسفي ، ورمز اجتماعي . ومن هنا تأتي ضرورة قراءته قراءة شمولية تجمع بين النص والعقل ، وبين الإيمان والتحليل ، ليظل حيًا في الوعي الفردي والجماعي للأمة.

χ

الحواشي

1. ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (سري).
2. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تفسير سورة الإسراء.
3. الرازي، مفاتيح الغيب، تفسير سورة النجم.
4. ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، باب الإسراء والمعراج.

المبحث الثاني: دلالة الترتيب القرآني بين الإسراء والمعراج

تمهيد

لم يكن القرآن الكريم كتاب سردٍ تاريخيٍّ للأحداث ، ولا سجلًّا زمنيًّا محايدًا للوقائع ، بل جاء خطابًا هادفًا ، يُعيد تشكيل الوعي الإنساني ، ويُربّي النفس ، ويُهذِّب العقل ، ويقود الروح في مسارٍ تصاعديٍّ من الإدراك إلى الإيمان ، ومن الشهادة إلى الغيب. ومن هذا المنطلق ، فإن ترتيب القضايا القرآنية – فضلاً عن ترتيب السور والآيات – يخضع لحكمةٍ تربويةٍ عميقة ، لا تنفصل عن طبيعة النفس البشرية ، ولا عن سنن التلقي والفهم.

وفي هذا السياق، تبرز حادثتا **الإسراء والمعراج** بوصفهما من أعظم الوقائع النبوية ، وأكثرها كثافةً رمزيةً ودلالية ، غير أن المتأمل في الخطاب القرآني يلحظ بوضوح أن القرآن **لم يجمع بينهما في موضعٍ واحد** ، بل وزّعهما توزيعًا دقيقًا:

- فذُكر **الإسراء** صراحةً في مطلع سورة الإسراء .
- بينما جاءت **وقائع المعراج** متفرقةً في سورة النجم .

وهذا التفريق لا يُقرأ بوصفه انفصالًا ، بل **بوصفه ترتيبًا مقصودًا** ، يكشف عن منطقٍ قرآنيٍّ في بناء التجربة الإيمانية ، وفي نقل الإنسان من عالم الحس إلى أفق الغيب.

χ

أولاً: الإسراء – من الأرض بوصفها نقطة البدء الوجودي

افتتحت سورة الإسراء بآيةٍ فريدة في بنائها الإيقاعي والدلالي:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾

تبدأ الآية بالتسبيح ، وهو **تنزيهٌ مطلقٌ للعقل قبل تلقي الخبر** ، وكأن الخطاب القرآني يُهيّئ المتلقي نفسيًّا وفكريًّا لقبول حدثٍ يتجاوز المألوف[1]. ثم يأتي فعل أسرى، المرتبط بالليل ، حيث السكون، والصفاء ، وانكسار الضجيج الحسي ، في انسجامٍ دقيق مع طبيعة التجربة.

الإسراء هنا **حركة أفقية**، انتقالٌ أرضيٌّ بين موضعين مقدسين، كلاهما داخل عالم الشهادة. فالمسجد الحرام والمسجد الأقصى معلمان محسوسان ، يمكن

للعقل البشري أن يتصورهما ، بل يعرفهما ، وأن يتقبّل الانتقال بينهما ، وإن كان خارقًا للعادة من حيث الزمن والكيفية.

وهذا المستوى من الحركة يمثل – نفسيًّا – **مرحلة التمهيد الإدراكي** ؛ إذ لا يمكن للنفس البشرية أن تنتقل فجأةً من عالمها المحدود إلى المطلق ، دون جسرٍ مرحليٍّ يخفف من صدمة التجاوز.

χ

ثانيًا: المعراج – الصعود من الشهادة إلى الغيب

على خلاف الإسراء ، لا ترد كلمة المعراج صريحةً في القرآن ، بل تُستَحضر التجربة عبر **لغةٍ رمزيةٍ عالية الكثافة** في سورة النجم:

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ • عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾

هنا ينتقل الخطاب من الجغرافيا إلى **الماورائيات** ، ومن المكان الأرضي إلى التخوم القصوى للوجود . فـ سدرة المنتهى ليست موضعًا يمكن تخيله بالحواس ، بل هي حدٌّ كونيٌّ فاصل بين الممكن الإنساني والمطلق الإلهي[2].

اللغة في سورة النجم لغة **إشارات لا تقارير** ، لغة انكشاف لا وصف ، حيث يتراجع البيان الحسي لصالح الإيحاء ، وكأن القرآن يدرك أن الغيب لا يُحاط به لفظًا ، وإنما يُلامس وجدانيًّا.

χ

ثالثًا: منهج التدرج الإلهي في الخطاب القرآني

إن الفصل بين الإسراء والمعراج يعكس ما يمكن تسميته بـ **منهج التدرج الإلهي في التربية الوجودية** .فالله تعالى – وهو العليم بالنفس الإنسانية – لا يصدمها بالحقائق الكبرى دفعةً واحدة ، بل يقودها في مسارٍ تصاعديٍّ:

1. من **المكان المعلوم**
2. إلى **الفضاء المتخيَّل**
3. ثم إلى **الغيب المطلق**

وهذا التدرج ينسجم مع ما توصلت إليه الدراسات النفسية الحديثة ، التي تؤكد أن العقل الإنساني يحتاج إلى بُنى وسيطة لاستيعاب المفاهيم المتجاوزة[3].

فالقرآن ، هنا ، لا يخاطب العقل المجرد فحسب ، بل يخاطب الإنسان بكليّته: عقلًا ، ونفسًا ، وخيالًا ، ووجدانًا.

χ

رابعًا: البعد الفلسفي – من المحايثة إلى التعالي

من زاوية فلسفية، يمكن قراءة الإسراء بوصفه **حركة داخل المحايثة** (Immanence) ، بينما يمثل المعراج **قفزة نحو التعالي** .(Transcendence) وهذا الانتقال يعكس السؤال الفلسفي القديم:

كيف يعبر الإنسان من المحدود إلى اللامحدود؟

الجواب القرآني لا يقدمه عبر الجدل النظري ، بل عبر **التجربة الرمزية** ؛ فالنبي ﷺ لا يصعد بذاته الفردية ، بل بصفته عبدًا ، أي في أقصى درجات التواضع الوجودي . فالعبودية هنا ليست نقيض الارتقاء، بل شرطه.

χ

خامسًا: القراءة الاجتماعية – تهيئة الجماعة قبل صدمة الغيب

لا يمكن إغفال السياق الاجتماعي للنزول القرآني. فقد جاءت حادثة الإسراء والمعراج في مرحلةٍ حرجة من الدعوة ، بعد عام الحزن ، حيث الاضطهاد ، والخذلان ، والانكسار النفسي.

فذكر الإسراء أولًا ، بما يحمله من رمزية الربط بين المسجدين ، يؤسس **لوحدة الرسالة** ، ويعيد الاعتبار لمركزية القدس ، ويُطمئن الجماعة المؤمنة قبل أن تُواجَه بوقائع الغيب التي قد تكون ثقيلة على الوعي الجمعي.

χ

سادسًا: التحليل الأدبي – جماليات الفصل لا الجمع

من الناحية الأدبية ، فإن الفصل بين الحدثين يمنح النص القرآني **إيقاعًا سرديًّا متدرجًا** .فلو جُمعت الحادثتان في موضع واحد، لفقد النص شيئًا من توهجه الدلالي ، ولتحولت التجربة إلى تقريرٍ واحدٍ مكتمل ، بينما جمال القرآن يكمن في **الانفتاح التأويلي**.

إن توزيع الحدثين يُشبه ما في الشعر الصوفي ، حيث لا تُقال الحقيقة دفعةً واحدة، بل تُلوَّح، ثم تُكشف، ثم تُستبطن.

χ

خاتمة المبحث

إن دلالة الترتيب القرآني بين الإسراء والمعراج ليست مسألة شكلية ، بل هي بنيةٌ عميقة ، تكشف عن فهمٍ إلهيٍّ دقيقٍ للنفس البشرية ، وعن خطابٍ يتجاوز الزمان والمكان ، ليبقى صالحًا لكل مستويات التلقي.

فالإسراء كان **جسر الأرض** ، والمعراج كان **سُلَّم السماء** ، وبين الجسر والسُّلَّم تتشكل رحلة الإنسان في الوجود:

من المحسوس إلى المعقول ، ومن المعقول إلى المرهون بالإيمان ، ومن الإيمان إلى السكينة.

الحواشي

1. انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، باب أسرار افتتاح السور.
2. الرازي، مفاتيح الغيب، تفسير سورة النجم.
3. فرويد ، مدخل إلى التحليل النفسي ، مع مراعاة الفارق المنهجي بين الخطاب القرآني والنظريات الوضعية.

الفصل الثاني

الخلفية التاريخية والاجتماعية للحدث

المبحث الأول: عام الحزن والتمهيد النفسي للمعجزة

لا يمكن مقاربة حادثة الإسراء والمعراج مقاربةً علميةً واعيةً بمعزل عن سياقها التاريخي والنفسي والاجتماعي ؛ إذ إن المعجزة في المنظور القرآني والسُّني لا تنفصل عن شرطها الإنساني ، ولا تنزل في فراغٍ زمنيٍّ أو وجداني ، بل تأتي استجابةً لحاجة ، وجبرًا لكسر ، وإعادةَ تشكيلٍ للوعي والرسالة. ومن هنا يبرز **عام الحزن** بوصفه الخلفية النفسية والوجودية الأشد كثافةً التي مهَّدت لهذا الحدث الكوني الفريد.

لقد جاء الإسراء والمعراج بعد سلسلة من الانكسارات المتتابعة التي تعرّض لها النبي ﷺ ، والتي لم تكن مجرد وقائع شخصية ، بل ضرباتٍ في عمق البنية النفسية والاجتماعية للدعوة الإسلامية الناشئة. ويمكن إجمال هذه الانكسارات في ثلاث محطات مركزية:

1. **وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها** : انهيار السند العاطفي والوجداني.
2. **وفاة عمه أبي طالب** : سقوط الحماية الاجتماعية والسياسية.
3. **فشل دعوة الطائف** : اكتمال الخذلان البشري والعزلة الوجودية.

أولًا: فقدان خديجة – انهيار الظهير العاطفي

لم تكن السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجةً بالمعنى الاجتماعي التقليدي ، بل كانت **الوعاء النفسي الأول للدعوة** ، والمكان الآمن الذي يعود إليه النبي ﷺ بعد كل صدمة . لقد شكّلت خديجة ما يمكن تسميته في علم النفس الحديث بـ الدعم الوجداني العميق (Emotional Containment) ، حيث احتوت قلق البدايات ، وخوف الوحي ، وارتجاف السؤال الوجودي الأول : « ما أنا بقارئ »[1) .

بوفاتها ، انقطع هذا الخيط الدافئ الذي كان يربط الرسالة بالطمأنينة الإنسانية ، فصار النبي ﷺ وحيدًا في مواجهة العالم ، يتلقى الأذى بلا كتفٍ يئنّ عليه ، ولا عينٍ تقول له: « كلا، والله لا يخزيك الله أبدًا »[2) لقد كان هذا الفقد **كسرًا داخليًا صامتًا** ، لا يُرى في السيرة بوضوح الكلمات ، لكنه يُقرأ في عمق التحولات النفسية اللاحقة.

ومن منظورٍ تحليلي ، فإن فقدان خديجة لم يكن فقد شخص ، بل فقد **معنى الأمان** ، وهو ما يجعل الألم مضاعفًا ، لأن النفس لا تبكي الغائب فقط ، بل تبكي ما كانت تكونه بوجوده.

ثانيًا: وفاة أبي طالب – سقوط الغطاء الاجتماعي

إذا كانت خديجة تمثل الحماية العاطفية ، فإن أبا طالب كان يمثل **الدرع الاجتماعي والسياسي** الذي حمى الدعوة في أخطر مراحلها . لقد كان وجوده بمثابة « العقد الاجتماعي غير المعلن » بين النبي ﷺ وقريش ، حيث يمنع الاعتداء الجسدي ، ولو لم يمنع الأذى المعنوي.

بوفاة أبي طالب، دخل النبي ﷺ مرحلة جديدة من الانكشاف الكامل ، حيث أصبح جسده مستباحًا ، وكلمته بلا حماية ، ورسالة السماء تواجه الأرض بلا وسائط . وفي علم الاجتماع الديني ، يُعدّ سقوط الحماية القبلية لحظة انهيار للبنية الحاضنة ، ينتقل فيها الفرد من موقع المحمي إلى موقع المستهدف(3)

وهنا تتعمق العزلة : عزلة لا تنبع من الوحدة العددية ، بل من غياب الشبكة الاجتماعية التي تمنح الوجود شرعيته داخل الجماعة . لقد صار النبي ﷺ غريبًا في وطنه ، مهددًا في أرضه ، وهو ما مهّد نفسيًا للانتقال من الأرض إلى السماء.

ثالثًا: الطائف – اكتمال الخذلان البشري

لم يكن خروج النبي ﷺ إلى الطائف هروبًا ، بل **بحثًا عن أفق إنساني جديد** ، ومحاولة أخيرة لزرع البذرة في تربة أخرى . غير أن الطائف لم تكن مجرد فشل

دعوي ، بل كانت **الذروة الدرامية للألم النفسي** ؛ إذ اجتمع فيها الرفض ، والسخرية ، والعنف الجسدي.

لقد رُمي النبي ﷺ بالحجارة حتى أُدميت قدماه ، وسالت الدماء لا بوصفها جرحًا جسديًا فقط ، بل بوصفها **نزيفًا رمزيًا للثقة في البشر** .وفي دعائه المشهور تتجلى أعمق طبقات الانكسار الإنساني:

»إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس...«[4]

هذا الدعاء ليس خطاب شكوى ، بل **اعتراف وجودي بالعجز** ، لحظة ينهار فيها وهم الاعتماد على الأسباب الأرضية ، وتنكشف فيها الحقيقة العارية : أن البشر ، مهما اقتربوا ، يظلون محدودين.

χ

الإسراء والمعراج: الجبر الإلهي للكسر النفسي

في هذا السياق المظلم ، جاءت حادثة الإسراء والمعراج لا بوصفها معجزة استعراضية ، بل **استجابة علاجية إلهية** .لقد كانت المعجزة هنا فعل جبر ، لا مجرد خرق للعادة ؛ جبر للنفس المكسورة ، وإعادة بناء للمعنى ، وترميم للثقة في الطريق.

من منظور نفسي تحليلي ، يمكن اعتبار الإسراء والمعراج **نقلة علاجية من الألم الأرضي إلى السعة الكونية** ؛ حيث يُنقل النبي ﷺ من موضع الجرح إلى فضاء الرؤية ، ومن ضيق الرفض إلى اتساع القبول الإلهي. فالرحلة لم تبدأ من مكة فقط ، بل من عمق الانكسار النفسي.

ولعل الدلالة الأعمق في هذا الحدث تكمن في رسالته الوجودية الكبرى : **إذا أُغلقت أبواب الأرض ، فسماء الله مفتوحة.**

إنها رسالة لا تخص النبي ﷺ وحده ، بل تمتد إلى كل ذاتٍ مؤمنةٍ تمرّ بلحظة سقوط ، لتقول لها إن الانكسار ليس نهاية الطريق ، بل قد يكون بوابة العروج.

البعد الفلسفي: من الألم إلى المعنى

فلسفيًا ، يقدّم الإسراء والمعراج نموذجًا فريدًا لتحويل المعاناة إلى معنى. فالألم هنا لا يُلغى ، ولا يُنكر ، بل يُستثمر بوصفه شرطًا للترقي . وهذا يتقاطع مع الرؤية الوجودية التي ترى أن الإنسان لا يكتشف ذاته إلا في لحظات الحدّ القصوى ، حين يُجرّد من كل ضماناته الأرضية[5]

لقد صعد النبي ﷺ إلى السماء لا لأنه تجاوز إنسانيته ، بل لأنه **اكتمل في إنسانيته** ؛ إنسان مجروح ، متعب ، لكنه ثابت على المعنى . وهنا تتجلّى الحكمة العميقة : أن العروج الحقيقي يبدأ من القاع ، وأن السماء لا تُفتح إلا لمن ذاق ثقل الأرض.

χ

إن حادثة الإسراء والمعراج ، حين تُقرأ في ضوء عام الحزن ، تتحول من حدث خارق إلى **نص علاجي كوني** ، يُعيد تعريف العلاقة بين الألم والاصطفاء ، وبين الانكسار والتمكين . لقد كان هذا الحدث إعلانًا إلهيًا بأن الرسالة لا تُقاس بردود أفعال البشر ، بل بثباتها في ميزان السماء.

وهكذا، فإن عام الحزن لم يكن هزيمة ، بل كان **التمهيد النفسي الأعظم للمعجزة** ، حيث يُكسر الإنسان ليُعاد تشكيله ، ويُجرّد ليُحمَّل، ويُترك ليُحتضن من العلوّ.

χ

الحواشي

(1)ابن هشام، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا، ج 1، ص 252 .

(2)البخاري ، صحيح البخار ي، كتاب بدء الوحي.

(3)ماكس فيبر ، علم الاجتماع الديني ، ترجمة فؤاد زكريا ، ص 87.

(4)ابن إسحاق ، السير ة، رواية ابن هشام ، ج 2، ص 29.

(5)بول تيليش، الشجاعة أن تكون ، ترجمة إمام عبد الفتاح ، ص 112.

المبحث الثاني: البعد الاجتماعي
وردود الفعل تجاه حادثة الإسراء والمعراج

تمهيد

ليست الحوادث المفصلية في تاريخ الرسالات مجرّد وقائع زمنية تُروى ، بل هي **مرايا كاشفة للبنية العميقة للمجتمع** ، تكشف ما استتر في النفوس من تصديقاتٍ أو تكذيبات ، وما استقر في الوجدان من يقينٍ أو ارتياب . وتُعدّ حادثة الإسراء والمعراج نموذجًا بالغ الدلالة لهذا النمط من الأحداث ؛ إذ لم تكن مجرّد معجزة خارقة للسنن الكونية ، بل كانت **زلزالًا اجتماعيًا ومعرفيًا** أعاد ترتيب الاصطفافات داخل المجتمع المكي ، وفرز المواقف فرزًا حادًا لا يقبل المنطقة الرمادية.

لقد شكّل إعلان النبي ﷺ لخبر الرحلة **لحظة اختبار وجودي** للمجتمع كلّه ، لا من حيث تصديق الحدث فقط ، بل من حيث **الاستعداد النفسي لقبول الغيب** ، ومن حيث موقع الإنسان من الحقيقة حين تتجاوز حدود العقل التجريبي.

χ

أولًا: خريطة الانقسام الاجتماعي بعد إعلان الرحلة

يمكن تصنيف ردود الفعل الاجتماعية إلى ثلاثة أنماط كبرى ، لا تعبّر عن مواقف آنية فحسب ، بل عن **بُنى نفسية وفكرية متجذّرة** :

1. **مكذّب ساخر (قريش)** .
2. **ضعيف إيمان متزلزل (المرتدّون)**.
3. **صديق مصدّق (أبو بكر رضي الله عنه)** .

وهذه الأنماط الثلاثة تمثّل ، في جوهرها ، **نماذج أنثروبولوجية متكرّرة** في تاريخ الإيمان والرسالات.

χ

ثانيًا: المكذّب الساخر – قريش والعقل المغلق

لم يكن موقف قريش مجرّد إنكارٍ للحدث ، بل كان **إنكارًا مشحونًا بالسخرية** ، والسخرية في علم الاجتماع الديني ليست شكلًا بريئًا من الرفض ، بل هي **آلية دفاع نفسي** يلجأ إليها العقل حين يعجز عن التفكيك المنطقي ، فيستبدل الحجة بالتهكّم.

لقد واجهت قريش الإسراء والمعراج بعقلٍ **تجريبي نفعي** لا يرى الحقيقة إلا فيما يخضع للحسّ والقياس . ومن هنا لم يكن الاستهزاء موجّهًا إلى الحدث فقط ، بل إلى **منظومة الغيب بأكملها** .فالمعجزة ، في نظرهم ، لا تُقاس بالمسافة ولا بالزمن ، بل تُقاس بمدى تهديدها للنسق الاجتماعي القائم

ومن منظور فلسفي ، فإن هذا الموقف يعكس ما يمكن تسميته بـ **"الوعي المنغلق "** ؛ وهو وعي يرفض كل ما يتجاوز أدواته الإدراكية المحدودة ، ويخلط بين **استحالة الفهم** و**استحالة الوقوع**.[1]

χ

ثالثًا: ضعيف الإيمان – الهشاشة النفسية والعقدة المعرفية

أشدّ ما تكشفه حادثة الإسراء والمعراج ليس تكذيب الكافرين ، بل **ارتداد بعض من كانوا يُحسبون على دائرة الإيمان** . وهنا يتجلّى البعد النفسي بعمق ؛ إذ إن الإيمان الذي لا يتجذّر في اليقين ، ولا يتجاوز التقليد الاجتماعي ، ينهار عند أول صدمة معرفية.

إن ضعف الإيمان هنا ليس خللًا عقديًا فحسب ، بل هو **هشاشة وجودية** ؛ فهؤلاء لم يكونوا قد تجاوزوا بعد مرحلة الإيمان بوصفه **انتماءً اجتماعيًا** إلى الإيمان بوصفه **التزامًا معرفيًا وروحيًا** . وعندما اصطدم الخبر بما اعتادوه من قوانين المكان والزمان ، اختاروا الانسحاب بدل إعادة بناء تصوّرهم للعالم.

ومن منظور علم النفس التحليلي ، يمكن تفسير هذا السلوك بظاهرة **التنافر المعرفي** ؛ حيث يعجز الفرد عن التوفيق بين معتقدٍ سابق وتجربة جديدة ، فيلجأ إلى إلغاء أحد الطرفين ، وغالبًا ما يُلغى الإيمان لأنه يتطلّب ثمنًا وجوديًا أعلى[2].

χ

رابعًا: الصديق المصدّق – أبو بكر ونموذج اليقين الخالص

في الجهة المقابلة ، يقف موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقفًا **فلسفيًا وروحيًا بالغ العمق** . فتصديقه لم يكن نابعًا من محاولة فهم تفاصيل الحدث ، بل من **فهم جوهر النبوّة** .لقد انتقل أبو بكر من سؤال : هل هذا ممكن؟ إلى يقين :إن قاله الصادق فهو حق.

وهنا تتجلّى قمة النضج الإيماني؛ إذ يصبح الإيمان **منظومة معرفية متكاملة** لا تنهار أمام المعجزة، بل تزداد بها رسوخًا. وقد عبّر أبو بكر عن هذا المعنى في عبارته الخالدة :

إن كان قال فقد صدق.

إن هذا الموقف لا يمثّل تسليمًا أعمى ، بل هو **تسليم واعٍ** نابع من تراكم تجربة معرفية وأخلاقية مع النبي ﷺ. ومن الناحية الفلسفية ، فإن أبا بكر يمثّل نموذج **العقل المؤتمن** ؛ العقل الذي يعي حدوده ، فيفسح المجال للوحي دون أن يشعر بالتهديد[3].

χ

خامسًا: وظيفة المعجزة – الفرز لا الإقناع

وهنا تتجلّى الحقيقة الكبرى:

المعجزة لم تأتِ لإقناع الجميع ، بل لتمييز الجميع.

فلو كانت وظيفة المعجزة هي الإقناع القسري ، لانتفى معنى الإيمان ذاته . إن المعجزة ، في التصور القرآني ، ليست أداة دعائية ، بل **أداة كشف** ؛ تكشف معدن النفوس ، وتفرز الصادق من المدّعي ، والراسخ من المتزلزل.

إنها لحظة امتحان لا تُفرض فيها الحقيقة بالقوة ، بل تُعرض في أقصى درجات التحدّي ، ليختار الإنسان موقعه بحرية كاملة . ومن هنا فإن الإسراء والمعراج لم يكن موجّهًا للعقل بقدر ما كان موجّهًا للقلب ؛ لأن القلب هو موضع اليقين ، لا العقل وحده[4].

χ

سادسًا: قراءة أدبية – المعجزة كلحظة شعرية كونية

أدبيًا ، يمكن النظر إلى الإسراء والمعراج بوصفه **قصيدة كونية** كُتبت بلغة الغيب ، حيث انكسرت حدود الأرض ، وتلاشت المسافات ، وتحوّل الزمن إلى معنى لا إلى رقم . وفي هذا السياق ، فإن ردود الفعل البشرية تشبه ردود فعل القارئ أمام نصٍّ شعري عميق:

- قارئ يضحك لأنه لم يفهم،
- قارئ يغلق الكتاب لأنه ارتبك،
- وقارئ يسكنه النص لأنه وجد فيه ذاته.

χ •

لقد كشفت حادثة الإسراء والمعراج عن حقيقة اجتماعية ونفسية وفلسفية مفادها أن الإيمان ليس استجابة لحادثة ، بل **بنية داخلية** . وأن المعجزة لا تُنتج الإيمان ، بل **تُظهره** . وهكذا ظلّ المجتمع المكي ، بعد تلك الليلة ، منقسمًا لا حول المسافة بين مكة والقدس ، بل حول المسافة بين **الشك واليقين**.

χ

الحواشي

1. انظر: طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، المركز الثقافي العربي ، مفهوم العقل المنغلق.

2. Leon Festinger, A Theory of Cognitive Dissonance, Stanford University Press.
3. الغزالي ، المنقذ من الضلال ، باب مراتب اليقين.
4. القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، الآية 1 ، وتفسير الرازي.

الفصل الثالث

الإسراء والمعراج بين الجسد والروح

تمهيد

تُعدّ حادثة الإسراء والمعراج من أكثر الوقائع النبوية إثارةً للجدل العقائدي والفلسفي في التراث الإسلامي ، لما تنطوي عليه من تجاوزٍ للحدود المألوفة للزمان والمكان ، وتداخلٍ عميق بين عالم الحس وعالم الغيب . فهي ليست مجرد معجزة عابرة في السيرة النبوية ، بل لحظة كونية فاصلة ، يتجلّى فيها الإنسان في أرقى تجلياته ، ويُستدعى فيها العقل ليقف عند تخومه القصوى ، متأمّلًا ، ومتسائلًا ، ومستسلمًا في آنٍ واحد.

لقد شكّلت مسألة : **هل كان الإسراء والمعراج بالجسد أم بالروح أم بهما معًا؟** محورًا مركزيًا في الجدل الكلامي ، وتقاطعت عندها الرؤى التفسيرية ، والنزعات العقلية ، والتجارب الروحية ، حتى غدت مرآة تعكس اختلاف المناهج في فهم النص الديني ، وحدود التأويل ، وعلاقة الإنسان بالوحي.

χ

المبحث الأول: آراء العلماء في حقيقة الإسراء والمعراج

أولًا: الاتجاه القائل بأن الإسراء كان بالروح فقط

ذهب فريق من العلماء، وفي مقدمتهم بعض المتكلمين وأصحاب النزعة العقلية ، إلى أن الإسراء والمعراج كانا **رؤيا منامية صادقة** أو **تجربة روحية محضة** ، لم يقع فيها انتقال جسدي حسي. واستند أصحاب هذا الرأي إلى جملة من الاعتبارات، من أبرزها:

1. **استبعاد العادة العقلية** : إذ رأوا أن الانتقال بالجسد من مكة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماوات العُلى ، والعودة في ليلة واحدة ، أمر يتجاوز القوانين الطبيعية المعهودة ، مما يستدعي صرف النص إلى المعنى الروحي.
2. **القياس على رؤى الأنبياء** : حيث إن رؤيا الأنبياء وحي ، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر رؤى صادقة ذات دلالة كبرى ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾[1].
3. **البعد النفسي الصوفي** : إذ رأى بعضهم أن المعراج يمثل ذروة التجربة الروحية للنبي ﷺ ، حيث ارتقى بروحه إلى مراتب القرب الإلهي ، بعيدًا عن قيود الجسد وكثافته.

غير أن هذا الاتجاه ، رغم عمقه التأملي ، وثرائه النفسي ، تعرّض لنقدٍ شديد ، لما فيه من **تعطيلٍ لظاهر النص** ، وتحويل المعجزة إلى تجربة داخلية فردية ، تُفقدها بعدها الكوني والتشريعي.

χ

ثانيًا: الاتجاه القائل بأن الإسراء كان بالجسد فقط

وهو رأي نادر ، ذهب إليه بعض أهل الظاهر ، ممن شددوا على الطابع الحسي الواقعي للمعجزة ، ورفضوا أي تأويل روحي أو رمزي لها . ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الإسراء والمعراج وقعا **بالجسد المادي وحده** ، باعتباره محلّ التكليف والمعجزة.

إلا أن هذا القول واجه إشكالًا فلسفيًا عميقًا ، يتمثل في **إقصاء البعد الروحي** من التجربة ، رغم أن المعراج في جوهره ارتقاءٌ بالإنسان إلى مقام القرب ، وهو معنى لا يكتمل دون حضور الروح . كما أن هذا الرأي لم يحظَ بقبول واسع بين العلماء ، لقصوره عن استيعاب الأبعاد الغيبية والوجدانية للحادثة.

χ

ثالثًا: رأي الجمهور:

الإسراء والمعراج بالروح والجسد معًا (وهو الراجح)

ذهب جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة ، من المحدثين والفقهاء والمفسرين ، إلى أن الإسراء والمعراج وقعا **بالروح والجسد معًا** ، في يقظة تامة ، لا في منام ، وهو الرأي الذي استقر عليه جمهور الأمة ، واعتُبر القول الراجح عقديًا.

الأدلة النقلية

يستند هذا الرأي إلى نصوص صريحة ، في مقدمتها قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾[2]

فالآية افتُتحت بالتسبيح ، إيذانًا بعِظَم الحدث وخروجه عن المألوف ، ثم استُعمل لفظ **" عبده "** ، وهو لفظٌ جامع في اللسان العربي يدل على **الإنسان بكليته** : جسدًا وروحًا ، إذ لا يُطلق العبودية على الروح منفصلة عن الجسد ، ولا على الجسد دون الروح.

القرائن التاريخية والواقعية

تعزّز هذا الفهم جملة من القرائن القوية ، منها :

1. **الإنكار الشديد من قريش** : فلو كان الإسراء رؤيا منامية، لما استدعى كل ذلك الاستهزاء والتكذيب ، إذ إن الرؤى لا تُكذَّب عادة ، ولا تُعدّ تحديًا للعقل الجمعي.
2. **ربط النبي ﷺ للبراق** : وهو فعلٌ حسيّ ، يدل على انتقال واقعي ، لا على تجربة روحية مجردة.
3. **وصف بيت المقدس** : إذ قام النبي ﷺ بوصف دقيق لمعالمه ، حين سأله المشركون ، وهو وصف لا يتأتى من رؤيا ، ولا من تجربة رمزية ، بل من مشاهدة مباشرة[3].

χ

التحليل الفلسفي والجدل العقائدي

إن القول بالإسراء والمعراج بالجسد والروح معًا ، يفتح أفقًا فلسفيًا عميقًا في فهم العلاقة بين المادة والروح ، ويؤسس لرؤية إسلامية متوازنة للإنسان ، لا تفصل بين الجسد والروح ، ولا تُقدّس أحدهما على حساب الآخر.

ففي الفلسفات الثنائية ، كثيرًا ما يُنظر إلى الجسد بوصفه سجنًا للروح ، أو عبئًا عليها ، بينما يأتي التصور الإسلامي ليؤكد أن **الجسد شريك الروح في التكريم والتكليف** ، وأن المعجزة الإلهية قادرة على أن تخرق قوانين المادة ، دون أن تُلغيها.

ومن زاوية نفسية تحليلية ، يمكن النظر إلى المعراج بوصفه **نموذجًا أعلى للتكامل النفسي** ، حيث يبلغ الإنسان ذروة التوازن بين وعيه الأرضي وتطلّعه السماوي ، بين آلام الواقع وأفق المعنى. فالنبي ﷺ عُرج به بعد عام الحزن ، وكأن المعراج كان **ترميمًا للروح** ، وإعادة تأسيس للذات النبوية في مواجهة قسوة المجتمع ، واضطهاد الواقع.

χ

البعد الاجتماعي والدلالات الحضارية

لم تكن حادثة الإسراء والمعراج مجرد تجربة فردية معزولة ، بل كانت **خطابًا اجتماعيًا حضاريًا** ، يؤسس لربط الأرض بالسماء ، ومكة ببيت المقدس ، في دلالة رمزية على وحدة الرسالات ، وتكامل الجغرافيا الروحية للأمة.

كما أن فرض الصلاة في ليلة المعراج يؤكد أن العبادة في الإسلام ليست طقسًا منفصلًا عن الواقع ، بل معراجًا يوميًا للإنسان ، يرتقي به وهو في قلب الحياة، لا خارجها.

χ

إن الجدل حول حقيقة الإسراء والمعراج ليس مجرد خلاف تاريخي ، بل هو انعكاس لاختلاف عميق في **مناهج الفهم ، وحدود العقل ، ووظيفة الإيمان** . وقد جاء رأي الجمهور، القائل بوقوع الإسراء والمعراج بالروح والجسد معًا ، جامعًا بين النص والعقل ، وبين الحس والغيب ، ومعبّرًا عن رؤية إسلامية شمولية للإنسان والكون.

ففي الإسراء والمعراج ، لا يهرب الإنسان من جسده ، ولا تنفصل روحه عن واقعه ، بل يسمو بهما معًا ، في رحلةٍ تبدأ من الأرض ، ولا تنتهي عند السماء ، بل تعود لتُغيّر وجه التاريخ.

χ

المبحث الثاني: التحليل الفلسفي للمسألة

لو كانت رحلة الإسراء والمعراج منامًا ، لما استحقّت أن تُسمّى معجزة ، ولا أن تُثير فتنةً في عقول الناس ، ولا أن تُصبح ميزانًا لامتحان الإيمان في لحظةٍ تاريخية دقيقة . فالأحلام ، مهما بلغت رمزيتها ، لا تُحدث ذلك الزلزال

المعرفي الذي يُعيد ترتيب علاقة الإنسان بالعقل ، ولا تُجبره على اتخاذ موقف وجودي حاسم : إيمانٌ أو إنكار . إنّ ما يُنتزع من النوم لا يُقاوم بالجدل ، أمّا ما يقع في اليقظة ، فينزل على العقل ثقيلاً، مطالبًا إياه بالجواب.

حادثة الإسراء والمعراج ، في بعدها الفلسفي ، ليست مجرّد انتقال مكاني ، بل صدمة معرفية تضع الإنسان أمام مفترقٍ فلسفي عميق : **هل العقل هو الحَكَم الأعلى في الوجود ، أم أنّ له حدودًا يقف عندها احترامًا للغيب ؟** فالحدث ، وإن خرج عن قوانين المادة المعتادة، لم يخرج عن قدرة الله المطلقة، وهنا يتجلّى الفرق الجوهري بين خرق العادة واستحالة العقل .فالمعجزة لا تناقض العقل، بل تُربكه مؤقتًا ليُعيد النظر في مسلّماته(1)

إنّ السؤال المحوري الذي تطرحه الحادثة هو :

هل يُحاكم العقلُ الغيب ؟ أم أنّ الغيب يُهذّب العقل ؟

والإجابة الفلسفية الإسلامية لا تُقصي العقل ، ولا تُؤلّهه ؛ بل تضعه في موضعه الصحيح : أداة فهمٍ ضمن حدود ، لا سيّدًا مطلقًا على الوجود. فالعقل الذي يُنكر كلّ ما لا يراه، هو عقلٌ سجين التجربة الحسية ، بينما العقل المؤمن هو عقلٌ يُدرِك أنّ الوجود أوسع من مداركه.

χ

الحواشي

1. سورة الإسراء، الآية 60.
2. سورة الإسراء، الآية 1.
3. انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تفسير سورة الإسراء ؛ والنووي ، شرح صحيح مسلم ، باب الإسراء والمعراج.

الفصل الرابع: المعراج – الرؤية الكونية والتكليف

تمهيد فلسفي

يمثّل المعراج الذروة الوجودية في التجربة المحمدية ؛ إذ لا يمكن قراءته بوصفه حادثةً خارقةً للعادة فحسب ، بل باعتباره **نصًّا كونيًا مفتوحًا** ، تتداخل فيه الأنطولوجيا باللاهوت ، والرمز بالتشريع ، والنفس بالكون. إنّه انتقال من أفق الأرض المأزومة إلى أفق السماء المنظِّمة ، ومن جراح التاريخ إلى وعد المطلق. ومن هنا، فإنّ المعراج ليس هروبًا من الواقع ، بل إعادة تأسيسٍ له من علٍ.

χ

المبحث الأول: لقاء الأنبياء ودلالته الرمزية

لم يكن لقاء النبي ﷺ بالأنبياء في السماوات مجرّد تشريفٍ تاريخي ، ولا حدثًا عابرًا في سياق الرحلة ، بل جاء **بناءً رمزيًا محكمًا** ، يحمل في طبقاته العميقة رؤيةً كونيةً لمسار الوحي، وتاريخ الإنسان ، وصراع المعنى مع العبث . فالسماء ، في هذا السياق ، لا تُقرأ جغرافيًا ، بل **أنثروبولوجيًا ورمزيًا** ؛ إذ تتحوّل إلى مسرحٍ تتجلّى فيه الخبرة الإنسانية في أرقى صورها.

لقد مثّل كل نبيٍّ محطةً دلالية ، تكشف بُعدًا من أبعاد التجربة الإنسانية والرسالية، وكأنّ النبي ﷺ يعبر ، في زمنٍ مكثّف ، تاريخ الإنسان الروحي بأسره:

1 - آدم عليه السلام (الأصل والجرح المؤسِّس)

لقاء آدم في السماء الأولى ليس استدعاءً لبداية الزمن فحسب ، بل استحضارٌ لـ **الإنسان كما أراده الله** : كائنًا حرًّا، مكرّمًا ، ومسؤولًا. إنّ وجود آدم في السماء ، بعد تجربة الهبوط ، يقدّم قراءةً وجوديةً للسقوط : لم يكن السقوط لعنةً نهائية ، بل **شرطًا للتكليف** ، وبوابةً للاستخلاف . ومن منظورٍ نفسيٍّ تحليلي ، يمثّل آدم صورة الإنسان الذي يتعلّم من الخطأ ، ويحوّل الذنب إلى وعي ، والانكسار إلى معرفة بالذات[1]

2 - يوسف عليه السلام (جمال الروح ومحنة اللاوعي الاجتماعي)

يوسف هو نبيّ الجمال ، لا بمعناه الشكلي ، بل بوصفه **جمالًا أخلاقيًا ونفسيًا** .إنّه نموذج الإنسان الذي يُلقى في قاع الخيانة ، ويُحاصر بالإغواء ، ويُسجن ظلمًا ، لكنه يخرج من كلّ ذلك أكثر صفاءً . لقاؤه في المعراج يرمز إلى انتصار البعد الداخلي على تشوّهات المجتمع ، وإلى قدرة النفس السويّة على إعادة تشكيل الألم إلى معنى. يوسف هنا يُجسّد ما يمكن تسميته في التحليل النفسي بـ التسامي ؛ أي تحويل الدوافع الجارحة إلى طاقة أخلاقية خلاقة.

3 - موسى عليه السلام (ثقل الشريعة وصدام التاريخ)

موسى هو نبيّ الصراع ، نبيّ المواجهة مع السلطة المتألّهة ، وتجسيد التجربة التشريعية في أقسى ظروفها. لقاؤه المتكرّر في سياق تخفيف الصلاة ليس تفصيلًا سرديًا ، بل إشارة إلى **خبرته العميقة بطبيعة الإنسان** . لقد عرف موسى هشاشة الجماعة ، وثقل التكليف ، ومحدودية الصبر البشري . ومن هنا، يكتسب حضوره بُعدًا نفسيًا تشريعيًا ؛ إذ يمثّل صوت الواقعية داخل التجربة الروحية ، دون أن يُفرّغها من قدسيتها[2]

4 - عيسى عليه السلام (الزهد والاحتجاج الأخلاقي)

عيسى هو نبيّ الروح في مواجهة المادّة ، والضمير في مواجهة القسوة. لقاؤه في المعراج يعكس بُعدًا احتجاجيًا ناعمًا ، حيث لا تُواجَه السلطة بالقوة ، بل بالقدوة الأخلاقية. الزهد هنا ليس انسحابًا من العالم، بل **تحريرًا للإنسان من عبوديته للأشياء** .ومن منظور فلسفي ، يمثّل عيسى نقدًا جذريًا للاختزال المادّي للإنسان.

5 - .إبراهيم عليه السلام (التوحيد والقطيعة المعرفية)

يأتي إبراهيم في الذروة، بوصفه أبا الأنبياء ، ونقطة الانفصال الجذري عن الوثن ، أيًّا كان شكله : حجرًا ، أو فكرةً ، أو سلطةً ، أو ذاتًا متضخّمة. إنّه نبيّ **التحرّر المطلق** ، حيث لا انتماء يعلو على الانتماء إلى الله. لقاؤه في المعراج

يرسّخ البنية العقدية النهائية للتجربة ، ويؤكّد أنّ التوحيد ليس مفهومًا ذهنيًا ، بل موقفًا وجوديًا شاملاً.

إنّ هذا التدرّج النبوي ليس اعتباطيًا ، بل يمثّل **خريطة الوعي الديني للإنسان** ؛ حيث تتكامل التجارب ، وتتراكم الخبرات ، وتُتوَّج برسالة الإسلام بوصفها رسالة الجمع لا التفريق ، والاتزان لا الإفراط ، والتكليف الممكن لا المستحيل[3]

χ

المبحث الثاني: فرض الصلاة – البعد النفسي والروحي

فُرضت الصلاة في السماء، لا على الأرض، وبلا واسطة بشرية. وهذه الحقيقة ، في ذاتها ، تحمل دلالةً لاهوتيةً ونفسيةً عميقة. فالصلاة لم تُقدَّم بوصفها طقسًا تعبديًا منفصلًا عن الحياة ، بل كـ **صلة كونية** بين المحدود واللامحدود ، بين الزمن والسرمد ، بين القلق الإنساني والسكينة الإلهية.

إنّ فرض الصلاة في المعراج يرفعها من مستوى الفعل إلى مستوى **اللقاء الوجودي** .فالمصلّي لا يقف بين يدي الله بجسده فقط ، بل بكيانه كلّه : بعقله القَلِق ، وبخوفه المكبوت ، وبألمه المؤجَّل ، وبرجائه المفتوح. ولهذا، فإنّ الصلاة في بنيتها العميقة تُعدّ **آلية تنظيم نفسي** ، تعيد للإنسان توازنه في عالمٍ يتّسم بالتشظّي والتسارع.

من منظور علم النفس التحليلي ، تؤدّي الصلاة وظيفة إعادة المركز (Re-centering) ؛ إذ تُخرج الإنسان من التيه الخارجي ، وتعيده خمس مرّات يوميًا إلى نواة المعنى . وهي ، بهذا المعنى ، علاجٌ وقائيٌّ من الاغتراب ، لا يقلّ أثره عن أيّ ممارسة علاجية حديثة.

أمّا مشهد تخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس ، فهو من أعمق المشاهد التشريعية دلالةً ، إذ يكشف عن بنية الإسلام النفسية والأخلاقية:

- **رحمة الله** التي لا تُشرّع من برجٍ عاجي ، بل من علمٍ دقيقٍ بطبيعة الإنسان.
- **واقعية الشريعة** التي تُراعي الطاقة البشرية ، وتؤسّس للتديّن المستدام لا الموسمي.
- **الدور الإنساني للنبي** ﷺ بوصفه محامي الإنسان أمام التكليف.
- **إمكانية الحوار في التشريع** دون المساس بجلال الأمر الإلهي.

هنا تتجلّى عبقرية الإسلام في تقديم التكليف لا كقهرٍ ، بل كرحمةٍ منظَّمة ، تُربّي الإنسان على الاستمرار لا على الانقطاع ، وعلى الحضور لا على الاحتراق[4]

χ

المعراج، في جوهره، ليس رحلةً في المكان ، بل **رحلةٌ في المعنى** .إنّه إعادة تشكيل للإنسان ، من كائنٍ مثقلٍ بالأرض ، إلى ذاتٍ قادرةٍ على حمل السماء في قلبها. وبهذا ، يصبح التكليف امتيازًا ، لا عبئًا ، وتغدو الصلاة معراجًا يوميًا ، يعيد الإنسان ، في كلّ سجود ، إلى حقيقته الأولى.

χ

الحواشي

1. يُنظر إلى تجربة آدم في ضوء مفهوم " الذنب المؤسِّس " في الفلسفة الوجودية الدينية.
2. راجع: دلالات التشريع في السياق النفسي الجمعي لبني إسرائيل.
3. حول مفهوم " رسالة الجمع " في الإسلام ، انظر مقاصد الشريعة الكلية.
4. تقاطع الصلاة مع مفاهيم العلاج الوجودي واليقظة النفسية (Mindfulness).

الفصل الخامس: التحليل الأدبي والرمزي لحادثة الإسراء والمعراج

الليل: رمز الخلوة والتجلي

اختيار الليل زمنًا للإسراء ليس تفصيلاً

عابرًا ، بل يحمل بعدًا أدبيًا وروحيًا بالغ الدلالة. فالليل ، في المخيال الديني ، هو زمن السكون ، وانكسار الضجيج ، وانفتاح الباطن. فيه تتراجع الحواس ، ويتقدّم القلب ، وتصبح النفس أكثر قابلية للتجلّي. إنّه الزمن الذي يلتقي فيه الإنسان بذاته ، ويتهيّأ للعبور.

البراق: تجاوز الزمان والمكان

البراق، في رمزيته ، ليس دابةً فحسب ، بل تعبير عن تحرّر الإنسان من قيود الإدراك المألوف . هو الجسر بين الممكن والمستحيل ، بين الأرض والسماء ، وبين المحدود واللامحدود . إنّه إعلانٌ بأنّ الزمن والمكان ليسا قيودًا مطلقة ، بل أدوات ضمن النظام الإلهي.

سدرة المنتهى: حدّ المعرفة المخلوقة

السدرة ليست مكانًا جغرافيًا ، بل حدًّا معرفيًا. عندها يتوقّف العقل ، وتنتهي اللغة ، وتبدأ منطقة الصمت. إنّها إعلانٌ فلسفيٌّ بأنّ المعرفة الإنسانية ، مهما بلغت ، لها سقف ، وأنّ التواضع المعرفي هو ذروة الحكمة.

الصعود: تحرّر من ثقل المادة

الصعود في المعراج ليس حركةً عمودية فحسب ، بل تحرّر وجودي من أثقال المادة ، ومن هيمنة الواقع المؤلم. إنّه لحظة صفاء ، لا هروبًا من العالم ، بل استعدادًا للعودة إليه بقلبٍ أقوى.

العودة : مسؤولية الرسالة لا الهروب من الواقع

أعظم ما في المعراج ليس الصعود ، بل العودة . فالرسول ﷺ لم يبقَ في السماء ، ولم يعتزل العالم ، بل عاد إلى مكة ، إلى الألم ، إلى الرفض ، وإلى المواجهة. وهنا تتجلّى الرسالة الأخلاقية العميقة:

الإسراء والمعراج ليس هروبًا من الألم، بل عودةٌ أقوى لمواجهته.

فالروح التي تعانق السماء ، إن لم تعد إلى الأرض حاملةً نورها ، تتحوّل إلى هروبٍ مقنّع. أمّا في الإسلام ، فالسموّ الروحي لا ينفصل عن المسؤولية الاجتماعية.

χ

حادثة الإسراء والمعراج ليست حدثًا تاريخيًا يُروى ، بل تجربة وجودية تُعاش . هي خطابٌ مفتوح للعقل ، وتهذيبٌ للنفس ، وبناءٌ لرؤيةٍ كونية متوازنة ، تجمع بين الغيب والعقل ، بين الروح والجسد ، وبين السماء والأرض.

χ

الحواشي

(1) يُنظر: الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، في حدود العقل وإمكان المعجزة.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، تفسير آيات الإسراء .

(3) مالك بن نبي، شروط النهضة، البعد النفسي للتشريع.

الخاتمة

ليست حادثة الإسراء والمعراج سردًا تاريخيًا يُدرج في سياق المعجزات فحسب، ولا واقعةً عجائبيةً تُستهلك في الخطاب الوعظي بوصفها خروجًا عن المألوف الكوني ، بل هي – في جوهرها العميق – **نصٌّ تأسيسيٌّ للوعي الإيماني والإنساني معًا** ؛ نصٌّ مفتوح على طبقات من المعنى ، تتداخل فيه العقيدة بالتربية ، والميتافيزيقا بعلم النفس ، والرمز الديني بالتحليل الفلسفي للوجود والذات.

إنها حادثة تُقرأ لا بوصفها " ما وقع "، بل بوصفها **ما يُفهم ، وما يُعاش ، وما يُعاد تمثيله في التجربة الوجودية للإنسان المؤمن** .فهي ، من هذا المنظور ، عقيدة تُؤمن لا لأن العقل أحاط بها ، بل لأن القلب سلّم لها ؛ ومنهاج تربية روحية يُعيد تشكيل الإنسان من الداخل ؛ ونموذج نفسيٌّ رفيع للثبات بعد الانكسار ؛ وفلسفة كونية تعيد تعريف العلاقة بين الإنسان ، والزمن ، والمكان ، والمعنى.

أولًا: الإسراء والمعراج كعقيدة تتجاوز منطق الفهم إلى أفق التسليم

علّمتنا هذه الحادثة أن الإيمان – في جوهره – **ليس معرفةً مكتملة ، بل ثقةً مكتملة** . فالعقل ، مهما بلغ من الدقة والتحليل ، يبقى أداةً محدودة أمام الغيب ، بينما الإيمان فعل وجوديٌّ يتجاوز منطق البرهان إلى منطق الاطمئنان. ومن هنا كان موقف الصدّيق رضي الله عنه لحظةً فارقة في تاريخ العقيدة ؛ إذ لم يسأل : كيف ، بل قال : إن كان قال فقد صدق.[1]

هذا الموقف لا يلغي العقل ، بل يضعه في موضعه الطبيعي : عقلٌ يعمل داخل حدود الممكن ، وقلبٌ يؤمن بما وراء الممكن . وفي هذا التوازن تتأسس الشخصية الإيمانية السوية ، التي لا تنكر الغيب بدعوى العقلانية ، ولا تعطل العقل بدعوى الإيمان. إن الإسراء والمعراج يرسّخان هذا المعنى بوصفهما **تجربة اختبار للثقة لا للفهم**، وامتحانًا للانتماء لا للدهشة.

ثانيًا: القرب الإلهي بين المكان والمقام – قراءة فلسفية روحية

تكشف لنا الحادثة أن **القرب من الله لا يُقاس بالمكان ، بل بالمقام** .فالنبي ﷺ وهو في مكة – قبل الرحلة – كان أقرب إلى الله من كثيرين يطوفون حول الكعبة ، وهو في سدرة المنتهى لم يكن قريبًا لأن المكان ارتفع ، بل لأن المقام سَمَا.

هذه الدلالة تفتح أفقًا فلسفيًا عميقًا : فالله – في التصور الإسلامي – منزه عن الجهة ، والاقتراب منه ليس حركةً في الفراغ ، بل **تحول في الوعي**

والاصطفاء . المعراج هنا ليس صعودًا فيزيائيًا فقط ، بل ارتقاءً وجوديًا ، حيث تتخفف الروح من أثقال العالم ، وتدخل في أفق الشهود[2].

ومن هذا المنطلق ، فإن الإنسان المعاصر – رغم اغترابه الروحي – مدعوٌّ إلى " معراج داخلي "، لا يحتاج فيه إلى سماء تُشق ، بل إلى قلب يُطهَّر ، وإلى وعي يُعاد بناؤه على معنى العبودية الحرة.

ثالثًا: الإسراء والمعراج كنموذج نفسي للثبات بعد الانكسار

لا يمكن قراءة حادثة الإسراء والمعراج بمعزل عن سياقها النفسي والتاريخي ؛ فهي جاءت **بعد عام الحزن** : فقدان الزوجة النفسي ، وغياب السند الاجتماعي ، وانكسار الدعوة في الطائف . من منظور علم النفس التحليلي ، نحن أمام لحظة **انهيار نفسي محتمل** ، لكن ما يحدث هو العكس تمامًا : تأتي التجربة الروحية الكبرى كفعل ترميم داخلي شامل[3].

إن أشد لحظات الانكسار – كما تعلّمنا الحادثة – قد تسبق أعظم لحظات التجلي . وهذه ليست مجرد حكمة وعظية ، بل قانون نفسي عميق : فحين يبلغ الضغط الوجودي ذروته ، تصبح النفس أكثر استعدادًا للتحول ، وأكثر قابلية لإعادة المعنى إلى الحياة.

الإسراء والمعراج ، بهذا المعنى ، ليسا مكافأةً بعد الصبر فحسب ، بل **علاجًا إلهيًا للنفس المنهكة** ، وإعادة تثبيت للذات النبوية في مركز رسالتها ، بما يشبه – بل يفوق – ما يسميه علماء النفس المعاصرون بـ النمو ما بعد الصدمة (Post-Traumatic Growth).

رابعًا: البعد الاجتماعي والتربوي للحادثة

اجتماعيًا ، تعيد الحادثة تعريف مفهوم " النجاح " في الدعوة والعمل الإنساني . فالفشل الظاهري في الطائف لم يكن مؤشرًا على سقوط المشروع ، بل مرحلةً من مراحله . وهنا يتعلم المجتمع المؤمن أن **القيمة ليست في النتائج العاجلة ، بل في صدق المسار**.

وتربويًا ، تُرسّخ الحادثة مبدأ أن التربية الإيمانية الحقة لا تُبنى على اليسر وحده ، بل على الصبر ، والابتلاء ، وإعادة توجيه البوصلة نحو السماء حين تضيق الأرض. إن الصلاة – التي فُرضت في هذه الليلة – لم تأتِ كتكليف شكلي ، بل كأداة يومية لإعادة وصل الإنسان بمصدر المعنى[4].

خامسًا: الإسراء والمعراج كفلسفة في معنى الإنسان والكون

فلسفيًا ، تطرح الحادثة رؤية متكاملة للكون بوصفه **فضاءً مفتوحًا للمعنى** ، لا مجرد مادة صماء . فالانتقال بين العوالم ، ولقاء الأنبياء ، وتجاوز حدود الزمان والمكان ، كلها إشارات إلى أن الوجود أوسع من إدراكنا الحسي ، وأن الإنسان – بما أُوتي من روح – قادر على التلقي من هذا الاتساع.

إن الإنسان في الإسراء والمعراج ليس كائنًا ضائعًا في كون عبثي ، بل **مخلوقٌ مُكرَّم ، له قابلية الصعود ، ومؤهل للحضور في مشهد كوني ذي معنى**.

وهذه الرؤية تُشكّل ردًّا جذريًا على الفلسفات العدمية التي ترى الوجود بلا غاية ، والإنسان بلا رسالة.

خاتمة الخاتمة: من الحادثة إلى المنهاج

إن الإسراء والمعراج ، في محصلتهما النهائية ، ليسا ذكرى نحتفي بها في موسمٍ عابر ، بل **منهاج وعيٍ وحياة** .علّمتنا أن الإيمان ثقةٌ تتقدم على الفهم ، وأن القرب الإلهي حالةُ مقام لا مسافة ، وأن الانكسار ليس نهاية الطريق ، بل قد يكون بابه الأعمق.

وهكذا ، يبقى المعراج مفتوحًا لكل من أراد أن يصعد : لا بجسدٍ يُرفع ، بل بروحٍ تُهذَّب ، وعقلٍ يتواضع ، وقلبٍ يثق . وفي عالمٍ يزداد ضجيجًا وفراغًا ، تظل هذه الحادثة نداءً صامتًا ، يقول للإنسان :**ما زال فيك متسع للسماء**.

الانسان يصعد بقلبه إلى السماء ، حين يخلص النية في التوجه إل الله .

χ

الحواشي

1. موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه يُعد من أبرز الشواهد العقدية على مفهوم التسليم الإيماني ، وقد شكّل معيارًا فارقًا بين الإيمان والشك.
2. يُراجع في هذا السياق البعد الصوفي والفلسفي لمفهوم " المقام " عند علماء السلوك والتزكية ، حيث يُفهم القرب بوصفه حالة وعي لا انتقال مكان.
3. يمكن تحليل هذه المرحلة وفق مفاهيم علم النفس التحليلي المتعلقة بالأزمات الوجودية والتحول النفسي العميق.

4. فرض الصلاة في المعراج يؤكد بعدها العلاجي والتربوي، بوصفها صلة يومية تعيد بناء الإنسان روحيًا وأخلاقيًا.

المراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن كثير – البداية والنهاية
3. الطبري – تفسير الطبري
4. ابن القيم – زاد المعاد
5. القشيري – الرسالة القشيرية
6. الغزالي – إحياء علوم الدين
7. ابن تيمية – مجموع الفتاوى